

ثانيا المدرسة الوظيفية

1 - تعريف الوظيفية

يعرف المعجم الحديث في علم الاجتماع الوظيفية بأنها: تحليل الظواهر الاجتماعية والثقافية استنادا إلى الوظائف التي تؤديها في نسق اجتماعي ثقافي، وتتصور الوظيفية المجتمع بأنه نسق مكون من أجزاء مترابطة بعضها ببعض، حيث لا يمكن فهم الجزء بمعزل عن الكل الذي يوجد فيه، فالتغير في أي نسق يؤدي إلى درجة معينة من اللاتوازن الذي ينتج في المقابل تغيرات في أجزاء النسق الأخرى.

والوظيفية عند دوركايم تتمثل في وظيفة العناصر الاجتماعية وإسهامها في الحفاظ على مجرى الحياة في المجتمع، وتتنظر إلى المجتمع كنسق اجتماعي، أي وحدات اجتماعية مختلفة نسبيا، تسهم في وظائف مختلفة لدفع المجتمع وتقدمه.

2 - جذور المدرسة الوظيفية البناء الوظيفي

ترجع إلى الفكر الوضعي، أي منذ بداية القرن التاسع عشر، غير أن بعض الباحثين يذهبون أكثر من ذلك، حيث يرجعونه إلى أفكار أفلاطون وأرسطو ومن ثم ابن خلدون، فالممثلات بين المجتمع والكائنات العضوية قديمة قدم الفكر الاجتماعي، ويعتبر كل من علماء الاجتماع (كونت وسبنسر، بارتيو ودوركايم) وبعد ذلك رواد الانتروبولوجيا (راد كليف براون ومالينوفسكي) الرواد المفكرين الأكثر أهمية بالنسبة للوظيفية المعاصرة، فقد ركز كل من (كونت وسبنسر وبارتيو) على الاعتماد المتبادل بين أجزاء النسق الاجتماعي أما دوركايم فركز على التكامل والتضامن، وقد كان فكر دوركايم مهما لكل من راد كليف براون ومالينوفسكي في تحليلاتهما لوظيفة المؤسسات الاجتماعية، فالوظيفية كمنهج ونظرية ظهرت في العلوم الاجتماعية من خلال المحاولات التي بذلها علماء الانتروبولوجيا في القرن التاسع عشر من أجل فهم الرواسب الثقافية في المجتمعات البدائية.

3 - رواد المدرسة الوظيفية

دوركايم 1858 / 1917 : يعتبر اهم رواد المدرسة الوظيفية وأول من استعمل الوظيفية بشكل منظم، بتفسيره لجوانب اجتماعية متعددة من خلال سؤاله (ما هي الأدوار الوظيفية التي قامت بها هذه الحقائق الاجتماعية في الحفاظ على النظام الاجتماعي كنظام كلي؟

ويحدد دوركايم معالم الوظيفية كما يلي:

- رؤية المجتمع انه نسق أو وحدة كلية تتألف من مجموعة من الوحدات المرتبطة بعضها ببعض.
- يسعى المجتمع بشكل عام باعتباره نسقا إلى إيجاد حالة من التوازن العام.
- إن الاتفاق على القيم والمعايير بين أفراد المجتمع يمثل الهدف النهائي للنظام العام.
- إن تحليل البناء الاجتماعي وما يحتويه من نظم وجماعات اجتماعية ينبغي أن يتم في إطار تحقيق استمرارية المجتمع ونموه.

من تطبيقات دوركايم

تقسيم العمل الاجتماعي: يختلف باختلاف حجم المجتمع، وكثافة السكان، وشدة التفاعل الاجتماعي، والوظيفة الاجتماعية لتقسيم العمل تدعم التماسك الاجتماعي وتبرز التضامن الاجتماعي.

الانتحار: قدم دراسة تحليلية على ظاهرة الانتحار في أوروبا، وأوضح أن المجتمعات التي تتسم بروابط اجتماعية قوية تتوفر فيها قواعد تحدد السلوك الاجتماعي ويقبل فيها معدل الانتحار من المجتمعات التي تتسم بضعف الروابط

الاجتماعية، ومعدل الانتحار في المدن اعلي منه في القرى والريف، وفي العزاب اعلي منه من المتزوجين، ومن الفرضيات التي صاغها:

- الانتحار ظاهرة اجتماعية وليس فردية.

- يزداد حجم انتشار الظاهرة مع انخفاض درجة التضامن في المجتمع.

- تنتشر الظاهرة في المجتمعات البروتستانتية عنها في المجتمعات الكاثوليكية، وفي المجتمعات التي تعاني من التفكك والفوضى السياسية والاقتصادية أكثر من المجتمعات التي لا تعاني ذلك.

الاغتراب: قال إن العالم الصناعي والنزعة العلمانية أدت إلى النزعة الفردية التي سادت التاريخ المعاصر، والتي بدت مظاهرها في اليأس والوحدة والخوف والاكتئاب والقلق الزائد والتي تمثل الاغتراب.

إذن الوظيفة البنائية: ترى أن المجتمع يتكون من عناصر مترابطة تتجه نحو التوازن من خلال توزيع الأنشطة بينها والتي تقوم بدورها بالمحافظة على استقرار المجتمع، وهذا الاستقرار مرهون بالوظائف التي يحددها المجتمع لتلبية الحاجات، وتنظيمه وبنائه وهو ضمان الاستقرار.

3 - الوظيفة المحدثة: ارتبطت برواد الانثروبولوجيا (راد كليف براون ومالينوفسكي) الرواد المفكرين الأكثر أهمية بالنسبة للوظيفية المعاصرة.

4 - رواد الوظيفة المحدثة

راد فيلد براون 1881 / 1955: ينظر إلى المجتمع باعتباره كلا متكاملًا يسعى إلى الحفاظ على استمراريته، وأكد على الوحدة الوظيفية لكل نسق اجتماعي، وعلى تنظيمها مع بعضها لتسهم في تحقيق هدف معين.

مالينوفسكي 1884 1942 : ارتبط اسمه ارتباطًا وثيقًا بالنظرية بحيث يمكن القول انه أول من طالب بضرورة وجود مدرسة وظيفية مستقلة، تقف في وجه النزعة التطورية القديمة، وكان مالينوفسكي واعيا كل الوعي بالإسهامات التي قدمها مفكروا القرن 19، وكان يؤكد على أهمية أفكارهم مثل سبنسر وتاييلور واهتم بأعمال دوركايم بصفة خاصة، يرى أن المجتمع عبارة عن كل يتشكل من أجزاء تؤدي وظائف، وصفها بالضرورية لتوازن المجتمع، إذ تشكل هذه الوظائف الأساس الذي يجب الارتكاز عليه لتفسير الوقائع الاجتماعية.

تالكوت بارسونست 1902 / 1979 : يرى أن البناء الاجتماعي يعبر عن عدد من الوظائف الرئيسية، وتتكون هذه الوظائف من التكامل والمحافظة على النمط وإدراك الهدف.

قال أن المجتمع عبارة عن الكل فهو بمثابة نسق أو نظام أو بناء والذي يمثل مجموعة من العلاقات الثابتة نسبيا بين الأفراد.

روبيرت ميرتون 1910 / 2003 : من أهم علماء النظرية الوظيفية والمجددين فيها، من أهم إسهاماته تناوله بما اسماه بالوظائف الكامنة وغير المباشرة والوظائف الظاهرة.

الانتقادات

لقد وجهت للوظيفية موجة من النقد أهمها:

أن الوظيفية تركز على الضبط الاجتماعي على حساب التغيير الاجتماعي، وبالتالي تحلل التغيير التوافقي وتتجاهل التغيير التخريبي، هناك تصور مفرط للطبيعة الاجتماعية والكائنات الحية، فبالإشارة إلى المماثلة العضوية نجد أن الأعضاء لا تفكر في حين الأفراد يفكرون.

ولعل ابرز هذه الانتقادات هي إهمالها للصراع والتغير الاجتماعي، وتركيزها على التوازن والتكامل، كما أثرت انتقادات حول كونها نظرية أصلا لها طابع متميز، وإنما هي طريقة لتحليل النظم والظواهر الاجتماعية، ومع ذلك فقد حققت الوظيفية البنائية ذيوعا وانتشارا وأسهمت إسهاما كبيرا في تطوير النظرية السوسولوجية.

ثالثا : المدرسة الماركسية

سميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها عالم الاقتصاد الألماني كارل ماركس، الذي عاصر ظروف التصنيع المبكر في أوروبا والذي دفعه إلى الاهتمام بكيفية ظهور الرأسمالية وانتقادها، وكيفية تغييرها بنظام اجتماعي أكثر عدلا للحقوق والواجبات.

1 - جذور المدرسة الماركسية

- عاش ماركس ظروفًا سياسية، اقتصادية، اجتماعية وفكرية مليئة بالتناقضات، التي جاء بها النظام الرأسمالي خلال القرن 19 في أوروبا بين طبقة الرأسماليين والطبقة الكادحة.

- الفقر المدقع والأوضاع المزرية التي كان يعيشها عامة الناس، بالإضافة إلى الاضطهاد الكنيسي المعتمد.

- تأثره بالفلسفة الألمانية والنموذج الثوري، الذي يرى انه مادامت الثورة تفجرت فعليها أن تستمر حتى يتم الاكتمال في الواقع.

- التطور الاقتصادي في أوروبا وانجلترا خاصة في القرن 19 .

- الثورة الفرنسية والثورة الصناعية والتناقضات التي أعادت توجيه التاريخ الأوروبي، وتتمثل في التيار الوضعي المتمثل في الفكر التجريبي على يد فرنسيس بيكون والى فلسفة التنوير التي دعت إلى ضرورة العقل الإنساني، والنجاح الذي حققته العلوم الطبيعية، وان الحاجة أصبحت ماسة إلى علم اجتماع يدرس الظواهر الاجتماعية، وان المرحلة الميتافيزيقية قد انتهت، وان المجتمع في حاجة إلى فلسفة وضعية وعلم يؤدي إلى ضبط المجتمع وفق قوانين تحكمه، مثل قوانين العلوم الطبيعية.

- تأثر ماركس بهيجل والمذهب الجدلي في فهم التاريخ الإنساني وإدراك الحوادث والربط بينها، فجميع المصادر الفكرية التي تأثر بها ماركس أعطت طابعا متميزا لكتاباتة، ونذكر منها الاغتراب، الصراع الاجتماعي، الطبقات الاجتماعية، الصراع الطبقي والثورة الاجتماعية.

2 - رواد المدرسة الماركسية

- كارل ماركس 1818 - 1883

يعتبر من ابرز علماء الاجتماع الألمان، ساهم في نمو وتطور علم الاجتماع، ولد في ألمانيا سنة 1818 أكمل دراسته في جامعة جينا بألمانيا وتحصل على شهادة الدكتوراه، عمل صحفيا وكتب الكثير من المقالات السياسية والاقتصادية ذات الطابع الثوري، الذي كان يدعو إلى التغيير والثورة وقلب النظام الحاكم في ألمانيا إلى الشعب، مما دفع الحكومة الألمانية إلى نفيه من البلد، وانتقل إلى فرنسا وبلجيكا، ولكن سرعان ما تم طرده بعد علم الحكومتان بأفكاره الثورية في قلب نظام الحكم، فاتجه إلى إنجلترا سنة 1851 ومكث فيها بقية حياته، عمل في المتحف البريطاني وكان يتلقى المساعدات المالية من طرف صديقه فريدريك انجلز وقد استطاع كتابة معظم مؤلفاته وأهمها على الإطلاق راس المال.

عاش ماركس في أجواء الفقر والحرمان والاضطهاد نتيجة كتاباته الاستفزازية والثورية، تأثر بهيجل واخذ منه المذهب الجدلي في فهم تاريخ الإنسانية وإدراك الحوادث والربط بينها.

3 - التصور المنهجي للمدرسة الماركسية

انطلقت الماركسية من منطلق أن المجتمع يتكون من بنائين البناء الفوقي وهو نسق الأفكار والمعتقدات والقيم والبناء التحتي ويتمثل في البناءات والمؤسسات والنظم الاقتصادية في المجتمع، وهو يستطيع أن يسيطر على النسق الفوقي

وسندرج تصورات ماركس في أسئلة ونجيب عليها:

- **مم يتكون المجتمع؟** يتكون المجتمع من طبقات، أما في رأي ماركس توجد طبقتين رئيسيتين في جميع المجتمعات، وعلاقة الناس بوسائل الإنتاج هي التي تحدد الطبقة التي ينتسبون إليها، فالطبقة الأقوى هي التي تمتلك وسائل الإنتاج (الأرض والمصانع) أما الطبقة الأضعف هي التي تتبع قوة عملها من أجل لقمة العيش، وفي المجتمع الرأسمالي تكون الطبقة الرأسمالية البرجوازية كما سماها ماركس هي الطبقة الحاكمة، والطبقة العاملة أو البروليتاريا هي الطبقة الخاضعة.

- **كيف يقوم المجتمع بأداء وظائفه؟** في رأي ماركس يقوم من خلال الصراع الطبقي أساسا، فكل طبقة تسعى إلى تحقيق مصالحها وهذا يجرها إلى الصراع مع الطبقات الأخرى، وقد ركز ماركس في الصراع بين الطبقة البرجوازية وطبقة البروليتاريا في المجتمع الرأسمالي.

- **لماذا تكون بعض الجماعات في المجتمع اقوي من جماعات أخرى؟** في رأي كارل ماركس الطبقة هي أساس القوة، فبعض الطبقات اقوي من بعض، لأنها تحوز قدرا اكبر من الملكية والثروة، وهذا يزودها بالوسائل التي تمكنها من حماية نفسها.

- **ما الذي يسبب التغيير الاجتماعي؟** يحدث التغيير الاجتماعي نتيجة الصراع بين البرجوازية والبروليتاريا.

- **هل المجتمع في حالة توازن او صراع؟** في رأي ماركس المجتمع في حالة صراع بين الطبقات، وكذلك قد يحدث التوازن في المجتمع حيث يخنفي الصراع لفترة مؤقتة وهذه الفترة تفيد الأغنياء أكثر من الفقراء، وتفيد الأقوياء أكثر من الضعفاء.

4 - المدرسة الماركسية المحدثه

يطلق اسم المدرسة الماركسية المحدثه على اولئك المفكرين المتمسكين بالماركسية التقليدية كما جاءت عند ماركس كإطار نظري ومنهجي، ولقد لخص عبد الباسط عبد المعطي في كتابه تعريفا إجرائيا للماركسية المحدثه: في أنها تستند إلى المفاهيم الماركسية ومنطقها المنهجي والقوانين العامة التي توصلت إليها، وأنها تتعامل مع القوانين النوعية للتطور الاجتماعي، فالنظرية المحدثه هي تلك الآراء التي ظهرت بعد الماركسية الكلاسيكية للحفاظ على الإرث الماركسي الذي بدا في التلاشي نتيجة سقوط المعسكر الشرقي، وفقدانه للعديد من الدويلات التي كانت تحت سيطرة الاتحاد السوفياتي، إضافة إلى عدم تحقق تنبؤ ماركس بسقوط الرأسمالية التي ستحل محلها الاشتراكية ثم الشيوعية، ولذلك لقد حافظت الماركسية المحدثه على مضمون الماركسية التقليدية، مع تعديل جزئي في معنى الصراع حسب المفهوم الماركسي، لذلك يرى الماركسيون المحدثون الصراع يحمل مضمون الاحترام للنظام والسلطة واعتباره أداة للتغيير والتحديث.

5 - رواد الكلاسيكية المحدثه

- **رالف داهرنرودف الصراع في المجتمع وما بعد الحدائة**

في دراسته للمجتمع توضح له أن كارل ماركس لم ينتبه إلى وجود طبقة وسطى ينتمي إليها أصحاب الياقة البيضاء، ويتمثلون في الأطباء والصحافيين والمحامين والأساتذة، وكذا أصحاب الياقة الزرقاء وهم عمال المصانع وتمثل هذه الطبقة حلقة وصل بين الرأسماليين والعمال الكادحين.

- فرانك باركن (القيم و الصراع في المجتمعات الحديثة)

جاءت أفكار فرانك باركن حول القيم والصراع في أحد مؤلفاته الهامة عن اللامساواة والطبقية والنظام السياسي والتدرج الاجتماعي في المجتمعات الرأسمالية والشيوعية، وذلك في محاولة منه في العودة إلى أفكار وتصورات ماركس الأصلية.

- دافيد لوكوند (النسق والطبقية في المجتمع الحديث)

حيث جاءت إسهامات لوكوند حول الطبقة الاجتماعية بمشاركة بلات وجولد ثروب عن دراستهم للعامل المترف، ففي دراسته عن العامل ذو السترة الداكنة حاول فيها أن يفسر العلاقة بين المظاهر الحقيقية الموضوعية وعن المظاهر الغائية للطبقة، وذلك عن طريق مناقشته لنظرية ماركس حيث رأى أن الموظفين أو العمال ذوي السترات السوداء، يعتبرون جزء من أعضاء الطبقة العمالية وهي البروليتاريا لأنهم لا يعتبرون من الطبقة الرأسمالية التي تملك وسائل الإنتاج، ولكن حتى الوقت الحاضر نجد أن معظم هذه الفئة من العمال لا يعتبرون أنفسهم مختلفين.

تقييم أعمال ماركس

لقد بالغ في أهمية العامل المادي واعتبره العامل المحرك للعلاقات وسلوك الأفراد والجماعات وهذا يتناقض مع الحقيقة والواقع، لأن هناك علاقة جدلية وتفاعل مستمر بين العالم المادي والقيمي.

بالنظر إلى الصراع الطبقي لا توجد طبقات اجتماعية متصارعة، فالحدود بين الطبقات غير واضحة بسبب ظاهرة التغيير الاجتماعي، لأن الصراع لا يكون بين الطبقات بل بين أفراد الطبقة الواحدة، وعليه لا يمكن تفسير سقوط المجتمعات بعامل الصراع الطبقي كما ادعى ماركس، فمثلا سقوط المجتمع الإقطاعي يرجع إلى عدة أسباب أهمها ظهور المدن وتوسعها، ارتفاع قيمة النقود، قوة الدولة، إضافة إلى اضمحلال الإقطاعيين وأصحاب الأراضي وعدم سيطرتهم على الفلاحين.

لا يعني التفسير المادي الاقتصادي لتاريخ الإنسان والمجتمع أن الناس تحركهم الدوافع الاقتصادية وحدها في الأخير نستنتج أن الماركسية ذات طبيعة ثورية تدعو إلى العمل على تغيير الواقع الاجتماعي وخلق أوضاع جديدة ومتطورة.

- استندت الماركسية على الفلسفة الألمانية فلسفة هيغل والاشتراكية الفرنسية وأفكار سان سيمون وكذا الأفكار الاقتصادية.

- علم الاجتماع الماركسي قائم على منهجين هما المنهج الجدلي والمنهج التاريخي، إذ ساعد المنهج التاريخي على كشف القوانين العامة والقوانين النوعية للتطور الاجتماعي، وساعد المنهج الجدلي على التمييز الموضوعي والذاتي في الحياة الاجتماعية، وكذلك التمييز بين العام والخاص، الضروري وغير الضروري، الاجتماعي وغير الاجتماعي، وهذا ما ساعد على اكتساب علم الاجتماع طابعه العلمي والنوعي في وقت واحد، وبهذا يكون الفضل لماركس في نضوج علم الاجتماع بعدما أسسه ابن خلدون.

ثالثا : المدرسة البنيوية

1 - التعريف

جمع بنية أو بني، إقامة بناء أو تشييد، وفي الاصطلاح هي تحليل الظواهر الإنسانية، وتعتبر كل ظاهرة بنية، ولدراستها يجب تحليلها وتفكيكها إلى عناصرها الأولية، ودراسة العلاقة بين هذه العناصر بعضها ببعض، فقد تكون ثقافية، اجتماعية، اقتصادية، وتختلف هذه البنية من مجتمع إلى آخر حسب ثقافة تلك المجتمعات.

وقد اختلف الباحثون في تصنيف البنيوية بأنها مدرسة أو هي مجرد منهج علمي أو أداة علمية، وحتى بعض روادها يقولون أن البنيوية ليست مدرسة منهجية، وإنما يجب وصفها بطريقة أخرى، فهي تتابع منظم لعدد من العمليات الدقيقة، فالبنيوية تهتم بتفسير العلاقات التي تتحكم في الظواهر، مما يجعلها منهج وطريقة لا غير، أما الجانب الآخر من الباحثين يرون أن البنيوية مدرسة لها جذور ومراحل تطور، واعتمدت على منهج تفكيكي.

2 - جذور المدرسة البنيوية

أهم الجذور التي اعتمدها البنيوية فلسفة كونت، فقد أخذت عنه المراحل التطورية، فكل مرحلة هي بنية تحتاج إلى تجربة، وتؤكد على وجود نسق أساسي تركز عليه كل المظاهر الخارجية في التاريخ، وهي لا تؤمن إلا

بالتجربة وما هو محسوس، كما تعود الجذور أيضا بتأثرها بالعلوم المادية التي وصلت إلى تحليل المواد الطبيعية والمادة إلى أجزائها الأولية، فالماء ما هو الا أكسجين وهيدروجين. كما جاءت البنيوية كانتقاد للماركسية ومحاولة وضع البديل لها.

3 - رواد المدرسة البنيوية

- جورج لوكاتش **1885-1971** : كان ماركسيا اهتم بالفن والسياسة وعلم الاجتماع، واهم تصورات التاريخ والوعي الطبقي، انتقد الماركسية وخرج من الفكر الماركسي إلى البنيوية.
- انطونيو قراميتش **1891 - 1937** : من منتقدي الماركسية، يرى أن الصراع في الحقيقة يدور حول الزعامة الفكرية الثقافية، أي صراع الأفكار كقوة للتغيير والوعي الطبقي.
- كلود ليفيستروس **1908-2009** : رائد البنيوية في العلوم الإنسانية عامة والانتروبولوجيا خاصة. له كتاب في الانتروبولوجيا البنيوية 1958 وكتاب مدارات جزئية 1955.

4 - التصور المنهجي للمدرسة البنيوية

- الموضوعية: تحليل الظاهرة يرتكز على بنيتها وعناصرها الداخلية دون تدخل ذات الباحث بأفكاره ومعتقداته.
- كل ظاهرة تشكل بنية تكفي بذاتها في التحليل.
- البنية لا تكون إلا محسوسة يمكن تفكيكها إلى عناصرها الأولية.

للإطلاع راجع أكثر

المراجع

- فهمي سليم الغزوري، مدخل إلى علم الاجتماع، دار الشرق للنشر والتوزيع، عمان، 2006
- شحاتة صيام، النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة، مصر العربية للنشر والتوزيع، 2008
- نيكولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها، ترجمة محمود عودة، الإسكندرية، 1999
- مرفت الطرابلسي، عبد العزيز السيد، نظرية الاتصال، القاهرة، 2006
- محمد علي محمد، تاريخ الفكر الاجتماعي، الرواد والاتجاهات المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2008
- محمد عاطف غيث، دراسات في تاريخ التفكير والاتجاهات النظرية في علم الاجتماع، دار النهضة العربية، مصر، 1975
- علي ليلي، النظرية الوظيفية في علم الاجتماع والانتروبولوجيا، الرواد والقضايا، القاهرة، 2008
- فوزية زنفوي، مدارس ومناهج، جامعة قلمة، الجزائر، 2019
- خلفاوي عزيزة، النظريات السوسولوجية للتربية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2019
- عدنان احمد مسلم، نظريات اجتماعية، جامعة دمشق، محاضرات السنة الثالثة، قسم علم الاجتماع